مجد الإسلام

وقفة على طلل

للأستاذ محمود غنيم

مَالي وللنَّجْم يرعانى وأرعاهُ ! أمسى كلانا يعافُ الغمضَ جَفْنَاهُ
لِي فيكَ ياليلُ آهاتٌ أُرَدِّدُها أوَّاهُ لو أجْدَت المحزونَ أوّاه
لا تحْسَبَنِّي محبًّا يشتكى وَصَبًا أهْوِنْ بما فى سبيل الحب ألقاه
إنّى تذكَّرْتُ — والذكرى مُؤَرِّقَةٌ —
مجـــداً تليـداً بأيدينا أضَعْنَاه
أنَّى اتجهتَ إلى الإسلام فى بلدٍ تجدْهُ كالطير مقصوصاً جَنَاحاه
وَيح العُروبة كان الكونُ مسرحَها
فأصبحت تتـــــوارى فى زواياه
كم صرَّفَتْنَا يدٌ كنا نصرِّفُها وبات يملكنا شعبٌ مَلَكْنَاه
كم بالعراق وكم بالهند ذو شَجَنٍ شكا فردَّدت الأهرامُ شكواه
بنى العمومةِ إنَّ القُرْحَ مَشْكُو ومسَّنَا . نحن فى الآلام أشباه
يا أهلَ يثربَ أدْمتْ مقلتىَّ يدٌ بدريَّةٌ تسألُ المصرىَّ جدواه
الدِّينُ والضادُ من مغنا كم انبعثا فطبَّقا الشرق أقصاهُ وأدناه
لسنا نمدُّ لكم أيمانَنا صِلَةً لكنما هو دَيْنٌ ما قضيناه

* * *

هل كان دينُ ابنِ عَدْنانٍ سوى فَلَقٍ
شقَّ الوجودَ وليلُ الجهلِ يغشاه ؟
سَلِ الحضارةَ ماضيها وحاضرَها . هل كان يتَّصل العهدان لولاه ؟
هى الحنيفةُ عينُ الله تكلؤُها فكلَّما حاولوا تشويهَهَا شاهُوا
هل تطلبون من المختار معجزةً يكفيه شعبٌ من الأجداث أحياه
مَنْ وَحَّدَ العُرْبَ حتى كان واترُهم إذا رأى ولدَ الموتور آخاهُ
وكيف كانوا يداً فى الحرب واحدةً من خاضها باع دنياه بأخراه
وكيف ساس رعاةُ الابل مملكةً ماساسها قيصرٌ من قبلُ أوشاهُ
وكيف كان لهم علمٌ وفلسفةٌ وكيف كانت لهم سُفْنٌ وأمواه
سَوَّوا المساواةَ لا عُرْبٌ ولا عَجَمٌ ما لامرئٍ شرفٌ إلا بتقواه
وقررت مبدأ الشورى حكومتُهم فليس للفرد فيها ما تمناه
ورَحَّبَ الناس بالاسلام حين رأوْا
أنَّ السلامَ وأنَّ العدلَ مغزاه
يامن رأى عُمَرًا تكسوه بردتُهُ والزيتُ أُدْمٌ له والكوخ مأواه
يهتزُّ كسرى على كرسيِّه فَرَقًا من بأسه وملوكُ الروم تخشاه

* * *

سَلِ المعالىَ عنا إننا عرَبٌ شعارُنا المجدُ يهوانا ونهواه
هى العروبةُ لفظ إن نطقت به فالشرقُ والضادُ والاسلامُ معناه
استرشد الغربُ بالماضى فأرشَدَهُ ونحن كان لنا ماضٍ نسيناه
إنّا مَشَينا وراء الغرب نقبسُ من ضيائه فأصابتنَا شظاياه

* * *

بالله سل خلفَ بحر الروم عن عرَبٍ
بالأمس كانوا هنا ما بالهم تاهوا ؟
فان تراءت لك الحمراء عن كثَبٍ فسائل الصَّرْحَ أين المجدُ والجاه
وانزلْ دمشقَ وسائل صخرَ مسجدها
عمن بناه لعل الصخرَ ينعاه
وطُفْ ببغدادَ وابحث فى مقابرها علَّ امرأً من بنى العباس تلقاه
هذى معالمُ خُرْسٌ كلُّ واحدةٍ منهنَّ قامت خطيباً فاغراً فاه
إنى لأشعرُ إذ أغشى معالمهم كأننى راهبٌ يغشى مُصلاّه
الله يعلم ما قلَّبتُ سيرتَهم يوماً وأخطأ دمع العين مجراه
أين الرشيد وقد طاف الغمامُ به فحين جاوز بغداداً تحدَّاه
مُلْكٌ كملك بنى التاميز ما غربت
شمس عليه ولا برقٌ تخطَّاه
ماضٍ نعيش على أنقاضه أمما ونستمدُّ القوى من وَحْى ذكراه
لا دَرَّ دَرُّ امرئٍ يُطرى أوائلَه فخراً ويُطْرِقُ إن ساءلته ماهو

* * *

مابالُ شَمْل بنى قحطانَ منصدعا ؟ ربَّاهُ أدرك بنى قحطان ربَّاه
عهد الخلافة فى البسفور قد درَسَتْ آثارُه طيّب الرحمنُ مثواه
عرشٌ عتيدٌ على الأتراك نعرضُه مابالُنا نجد الأتراكَ تأباه
ألم يروْا كيف فدَّاه معاويةٌ وكيف راح علىٌّ من ضحاياه
غالَ ابنَ بنتِ رسولِ الله ثم عدَا على ابنِ بنتِ أبى بكر فأرداه